ملزمة الأخلاق الأسلامية وآداب المهنة

اعداد : زخات مطر

المحاضرة الأولى

- ## تعريف الخُلُق و طبيعته ومكانته في الإسلام

أولاً- تعريف الخُلُق:

الخُلُق لغة:

بضم الخاء واللام الطبع والسجية. أي ما جُبل عليه الإنسان من الطَّبع. وجمعه أخلاقٌ. وهو - أي الخُلُق – يمثل صورة الإنسان الباطنة، التي هي نفسه التي بين جنبيه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها. كما أن الخَلْق يمثل صورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.

واصطلاحاً:

حالٌ للنفس راسخةٌ تصدر عنها الأفعال من خيرٍ أو شرٍ من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ. وبهذا المعنى ورد قول الله سبحانه في مدح نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم}.

- وقد يطلق الخُلُق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل. وبهذا المعنى ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).

- شرح التعريف وتوضيحه:
-
- أما التعريف الأخير فواضح لا لبس فيه، إذ إن الصدق والسخاء والرحمة والعدل وحب الخير للناس كلها أخلاق حميدة، وفضائل مسلَّمة، يسعى عقلاء الناس للتحلي بها، وتربية أبنائهم عليها.
- وأما التعريف الأول فهو الذي يكتنفه بعض الغموض، ويحتاج إلى توضيح، فنقول:
- يُقصد بـ (الحال) : الهيئة والصفة للنفس الإنسانية.

و (راسخة) : أي ثابتة بعمق. وهو ما يعني أن الأفعال تتكرر من صاحبها على نسق واحد حتى تصبح عادة مستقرة لديه. ومن ثمَّ كان مَنْ ينفق المال مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على المحتاجين لا يوصف بخلق السخاء والجود، بل لابد من تكرره منه بحيث يصبح عادة له.

- و (من غير حاجةٍ إلى فِكرٍ و رَوِيَّةٍ) : أي من غير تكلف أو مجاهدة نفس ، بل بسهولة ويسر وبطريقة تلقائية.
- يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلانٌ حسنُ الخُلُق والخَلْق. أي: حسن الباطن والظاهر. فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركبٌ من جسدٍ مدرك بالبصر، ومن روحٍ ونفس مدركٍ بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئةٌ وصورةٌ: إما قبيحةٌ، وإما جميلةٌ. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه، إذ قال تعالى: {إني خالقٌ بشراً من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي

فقعوا له ساجدين} فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد".

ثانياً- موضوع علم الأخلاق:

يبحث علم الأخلاق في الأحكام القيمية المتعلقة بالأعمال التي توصف بالخير أو الشر، أو توصف بالحسن أو القبح، وهذا ما يميز الأخلاق عن الغرائز والدوافع؛ لأن الغرائز والدوافع هي الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها كحاجته للأكل والشرب والنكاح والنوم... وهي أشياء لا تستوجب لصاحبها مدحاً ولا ذماً، ولا ثواباً ولا عقاباً، فإن مُدح الإنسان أو ذُم على شيء من ذلك، كان المقصود ليس نفس الفعل، وإنما طريقة صاحبه في تلبية تلك الحاجة، أو إشباع تلك الرغبة. فمن يأكل لا يمدح ولا يذم على فعله ذاك، وإنما يمدح إن أكل مما يليه وبهدوءٍ، ومضغ الطعام جيداً، وبدأ باسم الله، وانتهى بحمد الله، فهذا يحمد على فعله هذا، بخلاف من أكل بشراهة، وأدخل اللقمة على اللقمة، وجالت يده في القصعة ... فإنه يذم على فعله ذاك.

ثالثاً- أقسام الخلق:

يمكن تقسيم الخلق إلى قسمين اثنين باعتبارين مختلفين:

أولهما باعتبار الفطرة والاكتساب: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:

أخلاق فطرية:

جُبِلَ الإنسانُ عليها أي هي هبة ومنحة من الله تعالى، وليس للإنسان أي دور في اكتسابها. مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشج عبد القيس المنذر بن عائذ وكان وافد عبد القيس

وقائدهم ورئيسهم – وعبد القيس قبيلة- (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة) فقال: أشيءٌ جُبلتُ عليه، أم شيءٌ حدث لي؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (بل شيء جبلت عليه). فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحبه الله ورسوله". () قال النووي: الحلم هو العقل. والأناة هي التثبت وترك العجلة. وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا إلى المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقربه النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسه إلى جانبه

أخلاق مكتسبة:

- يسعى الإنسان في تحصيلها بالتدريب والممارسة العملية، ومن خلال مجاهدته لنفسه. ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح: (العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم).

- ثانيهما باعتبار القبول وعدمه شرعاً: وبهذا الاعتبار ينقسم الخلق إلى:

- 1 – خلق حسن: وهو الأدب والفضيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال جميلة عقلا وشرعا.
- 2 – خلق سيئ: وهو سوء الأدب والرذيلة وتنتج عنه أقوال وأفعال قبيحة عقلا وشرعا.
- ولقد جاءت دعوته ﷺ إلى فضائل الأخلاق، فقد أسامة بن شريك قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا

متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله تعالى؟ قال: (أحسنهم خلقاً) وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء للفوز بمحبة رسول الله ﷺ والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول: (إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً)

- رابعاً: مكانة الأخلاق في الإسلام

- يقسم كثير من الباحثين المعاصرين ما جاء به الإسلام من تشريعات وأحكام إلى شعب أربعة هي: عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق. وربما قسمها بعضهم إلى ثلاث شعب فدمجوا بين العبادات والمعاملات، فقالوا: عقيدة، وشريعة، وأخلاق. وهذا التقسيم إنما يصح بالنظر إلى الجهة الغالبة في تلك القضايا والمسائل التي تناولتها نصوص الشرع، وإلا فعند التأمل وإنعام النظر نجد أن هذه الشعب الثلاث أو الأربع لا تنفك عن بعضها، وأنها متداخلة متعاضدة كالبنيان يشد بعضها بعضاً. فالأخلاق التي يرد ذكرها في آخر الشعب لا تنفك عن العقيدة والعبادات والمعاملات، وهي في نفس درجاتها ومستوياتها من الأهمية والطلب. بل إنها تمثل جوهر رسالة الإسلام ولب شريعتها، بكل ما تحمله كلمة الأخلاق من عمق وشمول.

- وبيان ذلك من وجوه :

- حث الإسلام على الفضائل وحذر من الرذائل في نصوص لا تحصى من القرآن والسنة، ووصل فيها إلى أعلى درجات الإلزام، ورتب عليها أعظم مراتب الجزاء، ثواباً وعقاباً، في الدنيا والآخرة. فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. وامرأة دخلت النار في هرة

حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي دعتها تأكل من خشاش الأرض. وبغي دخلت الجنة في كلب سقته. والمرء يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم لا يفطر، والقائم لا يفتر. ...

- بلغ من عناية الإسلام بالأخلاق أن الله سبحانه حين أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم اختار الثناء عليه من جهة أخلاقه ليُعلمنا أنه لا أبلغ ولا أرفع من هذه الصفة. فقال تعالى:{وإنك لعلى خلق عظيم}.

جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الغاية والهدف من رسالته إتمام البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الأنبياء والمرسلين، فقال فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)

- في باب العقائد نجد أن الإسلام يضفي على التوحيد صبغة خُلُقية، فيعتبره من باب "العدل" وهو فضيلة خلقية، كما يعتبر الشرك من باب "الظلم" وهو رذيلة خلقية، فيقول سبحانه: {إن الشرك لظلم عظيم} وذلك لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وتوجه بها إلى من لا يستحقها. بل اعتبر القرآن الكريم الكفر بكل أنواعه ظلما، فقال تعالى: {والكافرون هم الظالمون}.
- والعبادات الإسلامية الكبرى ذات أهداف أخلاقية جلية منصوص عليها في كتاب الله:
- فالصلاة وهي العبادة الأهم في حياة المسلم، لها وظيفة سامية في تكوين الوازع الذاتي، وتربية الضمير الديني على الابتعاد عن الرذائل. قال تعالى: {وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} وهي كذلك تعين المسلم على مواجهة متاعب الحياة. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.

- والزكاة وهي العبادة التي تلي الصلاة في الأهمية، وسيلة لتطهير وتزكية النفس، وهما من الأهمية بمكان في عالم الأخلاق. قال تعالى:{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} .
- والصيام إنما يقصد به تدريب النفس على الكف عن شهواتها، وإدخال صاحبها في سلك المتقين، وهي جماع الأخلاق الإسلامية. قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}
- والحج تدريب للمسلم على التطهر والتجرد والترفع عن زخارف الحياة، وضبط الجوارح. قال تعالى: {الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج} .

- وفي مجال المال والاقتصاد كان للأخلاق حضورها سواءٌ في ميدان الإنتاج أم التداول أم التوزيع أم الاستهلاك.
- ففي مجال الإنتاج يجب أن تكون السلعة المنتجة نافعة مفيدة، وأما ما كان ضاراً بالناس أو مؤذياً لهم فلا يجوز إنتاجه مهما كان سيجلب لصاحبه من أرباحٍ ماديةٍ. قال تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما} .
- وفي مجال التبادل يحرم الإسلام الاحتكار والغش وكتمان العيب، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، واستغلال حاجة الآخرين أو استغلال بساطتهم أو طيشهم لخداعهم ففي الحديث الصحيح: "لا يحتكر إلا خاطئ" أي آثم. وفيه أيضاً: "من غش فليس منا". وفيه: "الحلف الكاذب منفقة للسلعة ممحقة للبركة. والتملك، لا يجوز للمسلم أن يتملك ثروة من طريق خبيث، ولا يحل له أن يأخذ ما

ليس له بحق لا بالعدوان ولا بالحيلة.كما لا يحل للمسلم الملك بطريق خبيث، لا يحل له تنمية ملكه بطريق خبيث كذلك.لهذا حرم الله الربا والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل، والظلم بكل صوره، والضرر والضرار بكل ألوانه.

- وفي مجال التوزيع أمر بالعدل بين الأولاد في العطية من الوالدين، كما وضع نظاماً دقيقاً في توزيع الميراث، والصدقات المفروضة، والغنائم والفيء والخراج والجزية وعطايا بيت المال. فقال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)
- وفي مجال الاستهلاك والإنفاق أمر الإسلام بالاعتدال والتوسط، والابتعاد عن الترف، والتبذير والإسراف والتقتير. قال تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً} . وقال أيضاً: {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين} . ومن هذا الباب تحريمه لاستعمال أواني الذهب والفضة مطلقاً، وكذا تحريمه لبس الذهب والحرير على الرجال.

- وفي مجال السياسة ربط الإسلام السياسة بالأخلاق، فرفض كل الأساليب القذرة للوصول إلى الغايات مهما كانت تلك الغايات نبيلة، ورفض مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وجعله سياسته مبنية على الصدق والرحمة والعدل والإنصاف والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعقوبات، وفرض احترام الاتفاقات، والوفاء fالعهود. قال تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} وقال جل شأنه: {وبعهد الله أوفوا ..} وقال أيضاً {ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} .

- وفي مجال الحرب لم تنفصل سياسة الإسلام عن الأخلاق، بل بقيت كما في السلم مبنية على العدل والرحمة والصدق والوفاء. قال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} ، وقال جل في علاه: {ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام، أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب}. وجعل الغاية من الحرب إعلاء كلمة الله، والانتصار للحق والخير. قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان} وقال جل جلاله: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين}. وفي السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي أصحابه إذا توجهوا للقتال بقوله" :اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً)
وكذلك كان الخلفاء الراشدون المهديون من بعده يوصون قوادهم: "ألا يقتلوا شيخا، ولا صبيا، ولا امرأة، وألا يقطعوا شجرا، ولا يهدموا بناءً".
- وهكذا فما من مجال من مجالات الحياة يعيشها المسلم بمعزل عن القيم الأخلاقية والضوابط السلوكية، وما هذا الذي ذكرناه إلا غيض من فيض.
- والحمد لله رب العالمين

المحاضرة الثانية

أسس الأخلاق في الإسلام

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على ثلاثة أسس هي: الأساس الاعتقادي، والأساس الواقعي والعلمي، ومراعاة الطبيعة الإنسانية.

أولاً – الأساس الاعتقادي:

- يتمثل الأساس الاعتقادي للأخلاق الإسلامية في ثلاثة أركان هي:
- الركن الأول: الإيمان بوجود الله تعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة وهو بكل شيء من الماضي والحاضر والمستقبل عليم، حتى إنه ليعلم ما يدور في خلجات الأنفس من خير أو شر كما قال تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ] {ق:16}

- أهمية الأساس الاعتقادي:

– هذا الأساس الاعتقادي بهذا المفهوم –المعتمد على الإيمان بالله وبالرسالات السماوية وبالحياة بعد الموت والحساب– في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في ديننا، وهو السند الذي يُعتمدُ عليه في إقامة النظام الخلقي الإسلامي، وفي عملية الالتزام به.

وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها، وتأثيرها في الإنسان، بل يستحيل أن تطبق تطبيقاً عملياً دقيقاً في السر والعلن، من غير أن يكون لهذا الأساس في قلوب البشر مكاناً راسخاً، ومن غير أن يؤمنوا به إيماناً صادقاً.

وليس هذا أساسٌ للسلوك الأخلاقي فحسب، بل كذلك للحياة؛ إذ لا معنى للحياة –في الحقيقة– دون وجود هذا الأساس ودون الاعتماد عليه.

ثانياً – الأساس الواقعي والعلمي:

إذا كان الإسلام قد دعا إلى المثالية والسمو الروحي، وذم الذين أخلدوا إلى الأرض وشهواتها، فإن دعوته إلى المثالية كانت واقعية، وكانت وسطاً بين نظريتين متطرفتين هما:

- أولهما: دعوات روحية تدعو الإنسان إلى محاربة الطبيعة، وعدم الاستسلام لها، مهما جابهته ضغوطات الحياة ومهما كانت شدتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان، وسموه الروحي وخلاصه من آلام الحياة إنما تتم بمحاربة الطبيعة، والتسامي عليها.
- ثانيهما: دعوات للطبيعيين الذين أخلدوا إلى الأرض، وقدموا الطاعة لدواعي هذا الركون والخضوع للأرض ومتطلباتها؛ واعتبروا سعادة الإنسان إنما تتم باستجابته لمتطلبات الطبيعة.

تابع للأساس الواقعي والعلمي:

القانون الأول – قانون المحافظة على الحياة:

- اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يحافظ على الحياة وينميها سلوكاً أخلاقياً، وكل سلوك يضاد الحياة أو يعوقها بصورة من الصور يعد سلوكاً غير أخلاقي.
- ومن هنا كان القتل حراماً أخلاقياً، وكذا تهديد الآخرين وإخافتهم، والتحاسد والتباغض والتدابر حراماً أخلاقياً.
- وكان من الواجب احترام الناس، والمحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودمائهم، والسعي لنفعهم ما أمكن حفاظاً على الحياة.
- تابع للأساس الواقعي والعلمي:

القانون الثاني – تكاثر النوع الإنساني:

- اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى إبقاء النوع وتحسينه سلوكاً أخلاقياً راقياً، فشرع الزواج وحث عليه، ونهى عن التبتل أو الرهبانية كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

•تابع للأساس الواقعي والعلمي:

القانون الثالث – الارتقاء العقلي والروحي:

•

•اعتبر الإسلام كل سلوك من شأنه أن يؤدي إلى السعادة والإقبال على الحياة بمحبة وانشراح وينمي العقل ويحافظ عليه سلوكاً أخلاقياً راقياً، وكل سلوك يضاد ذلك كأن يجعل الإنسان يعيش في عزلة من الناس متشائماً قلقاً، أو يضر بعقله ويجعله مريضاً أو متخلفاً مستسلماً للجهل والخرافات سلوكاً غير أخلاقي.

•ومن ثم فقد حث على العلم وصلة الرحم ومحبة الآخرين والرحمة بهم، والرضا بقضاء الله وقدره، كما في الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وفي حديث آخر: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له".

ثالثاً – مراعاة الطبيعة الإنسانية:•

•الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وجسد، وعقل، وقلب، ومشاعر، وعواطف. وأن هناك صراعاً بين طبيعة الإنسان وتكوينه المادي الذي يميل إلى الأرض والتراب الذي خلق منه، فيستجيب للأهواء والشهوات وينساق لها، وروحه العلوية التي هي من نفخ الإله، وتدعوه إلى السمو والرقي والمثالية.

•والمطلوب هو التنسيق بين هاتين الطبيعتين في الإنسان، وتوجيهه إلى السلوك الذي يليق به بصفته أشرف مخلوق على ظهر الأرض، وصاحب رسالة خُلِق من أجلها في هذه الدنيا.

- والمرجع في هذا التنسيق هو الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين تبارك وتعالى.
- ومن هنا كان هذا الأساس على جانب كبير من الأهمية في الدراسات الأخلاقية، وذلك لما بين سلوك الإنسان، وطبيعته التي جبله الله عليها من صلة وثيقة، ولأن نجاح أي نظام أخلاقي يتوقف على مدى انسجامه مع واقع هذه الطبيعة.

المحاضرة الثالثة

خصائص الأخلاق الإسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص تميزها عن غيرها من الأنظمة الأخلاقية، وتعطيها وجودها وطابعها التفرد والستقل، وهي:

أولاً- الانبثاق عن عقيدة الإسلام:

الأخلاق الإسلامية مرتبطة بالعقيدة ارتباطاً قوياً وعميقاً؛ بحيث يستحيل الفصل بينهما.

وما أكثر النصوص التي تربط بين الإيمان وحسن الخُلُق؛ حتى إنها لتجعل الإيمان، هو نفسه حسن الخُلُق، كيف لا؛ وحسن الخلق يقتضي شكر المنْعِم (الإله)، والاعتراف بفضله، والثناء عليه، والوقوف عند حدوده بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

وأي عقوق أعظم من أن يتمرد الإنسان على خالقه ومولاه، ويتنكر لجميله، ويخالف أمره ونهيه، كما هو الشأن في الكفار والمنافقين.

ثانياً- الشمول:

تتنوع الأخلاق الإسلامية وتشمل جميع المجالات، ومن هذه المجالات:

1- خلق مع الله ومع رسله عليهم السلام: وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين خُلُق المسلم مع الله ومع أنبيائه، من ذلك: قوله تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {النور:51} . وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ

اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {الحجرات:1}، فخُلُق المسلم مع الله تعالى ومع أنبيائه عليهم السلام يتمثل في السمع والطاعة لما جاء، والتسليم والرضا به دون أخذٍ أو ردٍ، أو تقديم اقتراحات أو آراء مع رأي الشرع.

2- خلق مع المسلمين: النصوص في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم مع المسلم، من الأخوة والإيثار والنصح والمحبة والتعاون والنصرة والولاية أكثر من أن تحصى. من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخ المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه".

ثالثاً- الثبات:

يقصد بالثبات أن الفضائل الأساسية للمجتمع من صدق ووفاء وأمانة وعفة وإيثار مرتبطة بنظام الشريعة العامة، وهي أمور لا يستغني عنها مجتمع كريم، مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم بل تظل قيماً فاضلة ثابتة.

إن الأخلاق في الإسلام لا تتغير ولا تتطور تبعا للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، بل هي حواجز متينة ضد الفوضى والظلم والشر، كما قال الله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} {البقرة:229}.

ويمكن إيجاز العوامل التي جعلت أخلاق الإسلام ثابتة في سببين، هما:

الأول: أنها مرتبطة بالفطرة البشرية: والفطرة تتصف بالثبات، ويرثها الأحفاد عن الآباء والأجداد، كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) فالخُلق فِطرة.

رابعاً- الجمع بين الواقعية والمثالية:

فأما كون الأخلاق في الإسلام واقعية فتعني أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد من الناس تطبيقها وتجسيدها في حياته.

وأما كونها في الوقت ذاته مثاليةً أيضاً فتعني أن في الناس من تتوق نفسه إلى معالي الأمور، ولا يرضى لنفسه بأن يكون كسائر الناس، ولا يشبع ذلك نَهَمه ورغبته في التسامي بخلقه، ورغبته في التحلي بالفضائل، ففسح الشرع له ذلك المجال.

فالإسلام راعى بتشريعه استعدادات هذا وذاك من الناس، ولم يحملهم على ما لا يطيقون، وما يمكن أن تمله نفوسهم وتتقاصر عنه، فشرع العدل وذلك بأن يصل كل ذي حق إلى حقه، ولكن دعاه في الوقت ذاته إلى الإحسان وهي مرتبة فوق العدل، فيها التضحية والصفح والتجاوز، قال تعالى في تقرير قاعدة العدل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] {المائدة :8}

خامساً- الوسطية:

وتعني أن الأخلاق الإسلامية وسطٌ بين طرفين متضادين.
وتتجلى هذه الوسطية والاعتدال في جوانب الدين كله:
ففي نظرة الإسلام إلى تكوين الإنسان كان وسطاً بين:
غلاة المثاليين الذين يعتبرون الإنسان روحاً علوية محبوسةً في الجسد ويجب عليه أن يتحرر منه.
غلاة الواقعيين الذين يعتبرون الإنسان جسداً فقط ويتنكرون للروح ومتطلباته.
فجاء الإسلام وقرر أن الإنسان مخلوق مركب من عقل وشهوة، وفيه استعداد للتقوى والفجور، وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر بوساطة أنبيائه ورسله، ثم ترك له حرية الاختيار، فقال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} (7-10) سورة الشمس.

المحاضرة الرابعة

وسائل اكتساب الأخلاق

المقدمة

•ذكرنا فيما تقدم أن هناك أخلاقًا فطرية؛ بمعنى أن بعض الناس تشمله العناية الإلهية فيولد سليم الفطرة، كامل العقل، حسن الخُلق، عالِماً مؤدَّباً بغير معلِّم أو مؤدِّبٍ، كما هو الحال في الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام الذين اصطفاهم الله واختارهم، وجعلهم بفضله قدوات صالحة تمثل قمة الكمال البشري.

•وهناك من يمُنُّ الله عليه ببعض تلك الصفات الخُلقية الحميدة، كما في حديث أشج عبد القيس حين أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة".

وحين سأل النبي أهما من كسبه أم جبله الله عليهما؟ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "بل الله جبلك عليهما". فإذا ما استثنينا هذه الحالات، فإن الصفات الخلقية الحميدة تحتاج إلى وسائل لاكتسابها والاتصاف بها.

ومن أهم هذه الوسائل:

أولاً- التدريب العملي والرياضة النفسية:

•وذلك من خلال مجاهدة النفس، وحملها على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب.

•فمن أراد مثلاً أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق الجود؛ فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ببذل المال، ويواظب عليه تكلفاً، مجاهداً نفسه فيه حتى يصبح ذلك خلقاً له، وطبعاً فيه، فيتيسر عليه، ويصير به جواداً.

•وكذا من أراد أن يُحَصِّلَ لنفسه خُلُق التواضع وقد غلب عليه الكِبْر؛ فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو

فيها يجاهد نفسه، ويتكلف إلى أن يصبح ذلك خلقاً له وطبعاً فيه؛ فيتيسر عليه، ويصير به متواضعاً.

- وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، إلى أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً.
- فالسخي هو الذي يشعر باللذة ببذل المال، دون الذي يبذله عن كره، والمتواضع هو الذي يشعر باللذة بفعل التواضع ... وهكذا.

تابع للتدريب العملي والرياضة النفسية:

العلاقة بين القلب والجوارح:

- وفي هذا المعنى أيضاً جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ".
- أي أن من درب نفسه وحملها على ما يريد، وجد الاستجابة لها بإذن الله.
- فالبداية تكون من العبد، ثم يأتيه التوفيق من الله تعالى، مثله في ذلك مثل البدن، فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى شيئاً فشيئاً بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة، قابلة للكمال، وإنما تكمل شيئاً فشيئاً بالتربية وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم.
- يتضح إذن مما سبق أنه يمكن اكتساب الأخلاق الجميلة بالرياضة والتدريب العملي، وذلك بتكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً؛

لتصير طبعاً بعد ذلك في النهاية. وهذا من أثر العلاقة بين القلب والجوارح.

ثانياً- البيئة الصالحة والجليس الصالح:

وذلك بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشرَّ والخيرَ جميعاً. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً). رواه البخاري ومسلم. قال النووي: "في الحديث تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُحْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

ثالثاً- القدوة الحسنة:

الإنسان بطبعه يميل إلى تقليد غيره ومحاكاته، وهذا أمرٌ واقعٌ ومحسوسٌ في دنيا الناس، لا يتجادل فيه اثنان، ولا يتناطح فيه كبشان. وقد قصَّ الله علينا في كتابه العزيز حال كثير من الكفار، ونبَّه إلى أن الذي قادهم إلى الضلال والكفر إنما هو تقليدهم الأعمى للآباء والأسلاف. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} {البقرة:170}.

- إذاً فالمنكر في الأمر ليس هو التقليد، وإنما التقليد القائم على التبعية العمياء، وعلى تعطيل العقل، وإلا فلو كان قائماً على التبصر والتعقل وحسن الاختيار لكان مقبولاً، بل مطلوباً في كثير من الأحيان

رابعاً- الضغط الاجتماعي:

- ونعني بذلك المجتمع المسلم، بما يشكله من رقابة على سلوك الأفراد، ويُلزمهم بفضائل الأخلاق.
- وذلك أن الفرد يعيش مع الناس داخل هذا المجتمع أو ذاك، يحتاجهم في شؤون حياته، ولا يستغني عنهم، ويحتاج منهم التقدير والاحترام؛ فإذا ما أقدم على تصرف سيئ، فسيجد من يحاسبه على سلوكه ذاك، وسيشعره بأنه أقدم على سلوك غير مقبول، وأن عليه أن لا يعاوده.

ويومًا بعد يوم، ومع هذه الرقابة من المجتمع، والضغط الذي يشكله على سلوكه، فإنه سيهجر هذا التصرف السيئ، وسيبدله بتصرف آخر مقبول، يجلب له الرضا والاحترام والتقدير ممن حوله، وبذلك يستقيم خلقه.

الفرق بين الضغط الاجتماعي وتأثير البيئة الصالحة:

- قد يشكل على البعض الفرق بين الضغط الاجتماعي والبيئة الصالحة، فيعتقد أنهما واحدٌ، والحق أن الضغط الاجتماعي أعم من البيئة؛ لأن المسؤولية فيه مسؤولية اجتماعية، ويمكن التفريق بينهما من خلال ما يأتي:
- البيئة: تعني تلك المجموعة من الناس الذين يعيش معهم بشكل مباشر كل يوم، وبصورة مستمرة.
- وأما الضغط الاجتماعي: فيعني المجتمع بكل طبقاته وأطيافه وفئاته؛ فهناك رقابة من المجتمع على وسائل الإعلام المختلفة من جرائد ومجلات وكتب وإذاعات وخطب ومقالات ومواعظ وحوارات، فيقوم مستمعوه وقراؤه بمحاسبته على أقواله وتصرفاته المخالفة للفضائل الخلقية.

وهناك نصوصٌ كثيرةٌ حث فيها الإسلام على الضغط الاجتماعي من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها :

- **خامساً- سلطان الدولة:**

ونعني به السلطة الحاكمة بما تملكه من قوة ردع، وأجهزة رقابة ومحاسبة، وفي بيان أثر هذه الرقابة من الدولة وأهميتها يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

أي أن الله تعالى يدفع بالسلطان أناساً عن اقتراف المنكر؛ خوفًا من عقوبته؛ لأن قلوبهم ميتة لا تستجيب لنداء القرآن الكريم وما فيه من الترغيب والترهيب، وإيمانهم قد استبد به الضعف، فأصبحوا لا يرتدعون إلا خوفاً من العقوبة، ومن سياط السلطان، حال العبد الذي يُقرع بالعصا، ولا تكفيه الإشارة.

المحاضرة الخامسة

المسؤولية عن السلوك الأخلاقي

في هذا المبحث سنتعرض لمسائل ثلاثة مرتبطة ببعضها ارتباط العلة بالمعلول. وهي على الترتيب: الإلزام، ثم المسؤولية، ثم الجزاء.

بمعنى أن الإلزام يكون أولاً، ثم تتبعه المسؤولية، ثم يتبعهما الجزاء أخيراً.

أولاً – الإلزام:

تعريفه الإلزام الخُلُقي:

يمكن تعريف الإلزام في باب الأخلاق بأنه: تكليفٌ بتشريع خُلُقي.

أو بعبارة أوضح:

أمرٌ صادرٌ من الشرع للمكلف بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم.

والمقصود بالمكلف هو الشخص: البالغ العاقل

أي أن الإلزام الخُلقي أمرٌ صادر من الله سبحانه أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للبالغ العاقل، وبمقتضاه يُطالب هذا الشخص بأن يتصف بخُلُقٍ محمود كالصدق والعدل ونحوها، أو ينتهي ويبتعد عن خُلُقٍ مذمومٍ كالكذب والرياء ونحوها.

مصادر الإلزام الخلقي:

يذهب عامة علماء المسلمين إلى أن مصدر الإلزام الخلقي – كغيره من الأحكام الشرعية – إنما هو الله سبحانه، قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} {يوسف 40}، وقال جل في علاه: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} {الأعراف 54}. فالتشريع حقٌ لله وحده.

ثم إن الله تعالى أمرنا باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} {الحشر:7}، وقال أيضاً: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} {آل عمران 32}. فاتباعنا لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام إنما هو استجابةٌ وامتثالٌ لأمر الله سبحانه. وقد بعثه الله إلينا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، وأقام بهما الحجة على العباد، وبدونهما لا محاسبة ولا عقاب، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}

{النساء :165} ، وقال أيضًا: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} {الإسراء :15}.

-العوامل الداخلية للإلزام:

أولاً-الإيمان بالله:

إن كثيراً من الممارسات الخلقية الحميدة لا تقوم إلا على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر، والطمع بالثواب والرضا من الله تبارك وتعالى، وليس من البشر، وذلك كما في مقابلة الإساءة بالإحسان، والصبر على الظلم مع القدرة على الرد، والإنفاق على الأيتام والمحتاجين من غير انتظار الجزاء منهم، والتضحية بالمال مع شدة الحاجة إليه، وفي هذا جاء قول الله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً} {الإنسان :8-9}. يقول ابن القيم رحمه الله: "الإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها والآمر بأحسنها والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وائتمار صاحبه وانتهاؤه".

-العوامل الخارجية:

أولاً-المجتمع:

أمر الله سبحانه جماعة المسلمين أن يراقبوا سلوك الأفراد داخل المجتمع، وأن يأخذوا على يد الشارد منهم، والمنحرف عن جادة الحق، وأن يعاقبوه ليكون زاجراً له ورادعاً لغيره. قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ} {المائدة:38}، وقال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ} {النور:2}، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[3]. فالأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم؛ فتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، وتأخذ على يد الظالم والعابث، وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرورها. قال تعالى محذراً من ذلك: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} {الأنفال:25}.

-خصائص الإلزام الخُلُقي:

يمتاز الإلزام الخلقي في الإسلام بجملة من الخصائص أهمها:

- الإلزام بقدر الاستطاعة، [لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] {البقرة:286}، فلا تكليف إلا بقدر الطاقة والاستطاعة، وهذا مبدأ يقتضيه العدل الإلهي، كما يقتضيه الخلق القويم.

- اليسر في التطبيق، [يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] {البقرة:185} ، إذ لم يشرع لنا من التكاليف ما من شأنه أن يوقعنا في الحرج والمشقة.
- مراعاة الأحوال الاستثنائية، كما في إعفاء العجزة والضعفاء والمرضى عن الجهاد، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ] {الفتح:17} ، وكما في الترخص بالتلفظ بلسانه بالكفر مع بقاء قلبه مطمئناً بالإيمان، قال تعالى: [مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً] {النحل:106} .

ثانياً: المسؤولية:

تعريفها: هي "التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً".
أو هي: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام اللّه".

-شروط المسؤولية:

-خصائص المسؤولية:

تتسم المسؤولية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي، بمعنى أن الإنسان يتحمل مسؤولية تصرفاته فقط دون تصرفات

غيره، وقد ألّدت هذه الحقيقة آيات كثيرة من كتاب الله منها: {مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى} {الإسراء 15}، ومنها: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى} {النجم 39}، والثواب والعقاب إنما يكون على تصرفاته من الأقوال والأفعال.

غير أن هذه المسئولية الفردية لا تعني أن لا يكون الفرد مسؤولاً عن انحراف أبنائه أو أقرانه، أو من له ولاية عليه. والمسؤولية هنا ليست من أجل الفعل، بل من أجل التقصير في واجبه فيما وكل إليه؛ كما في الحديث: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، أو لتقاعسه عن واجبه الذي فرضه عليه الشرع، قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} {آل عمران 104}.

-أنواع المسؤولية:

تنقسم المسؤولية إلى ثلاثة أنواع:

- المسئولية الأخلاقية المحضة: وتعني الالتزام الذاتي من الإنسان نفسه على الإتيان بشيء أو الانتهاء عن فعل شيء.
- المسئولية الاجتماعية: وتعني الالتزام تجاه الآخرين من أبناء المجتمع، وما يفرضه المجتمع من قواعد.

- المسئولية الدينية: وتعني الالتزام أمام اللّه تعالى.

ثالثاً -الجزاء:

- تعريفه: هو الأثر المترتب على الفعل الإنساني؛ ظاهراً أو باطناً، في الدنيا أو في الآخرة.
- أنواعه: للجزاء ثلاثة أنواع هي: الجزاء الأخلاقي، والجزاء الشرعي، والجزاء الإلهي.

1- الجزاء الأخلاقي:

ويعني ما يلاحظه الإنسان من نفسه جراء إقدامه على عمل طبقا لما يعرفه من الأحكام والتشريعات والقواعد ويحس بها، كالرضا في حالة النجاح، والألم في حالة الإخفاق. يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: (من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن). حديث صحيح. ففي هذا الحديث ترجمة وتحديد للإيمان الخلقي.

المحاضرة السادسة

نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

الرسول ذو الخلق العظيم:

قال تعالى مادحاً نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم 4] وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام: (كان خلقه القرآن). أي أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام كانت تجسيداً عملياً لما جاء به القرآن الكريم من أوامر أو نواهي أو مُثُل عليا، فهو الذي اختاره الله سبحانه ليكون أسوة ومثلاً أعلى للبشرية، فقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوةَ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} {الأحزاب:21}.

وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو الذي قال الله فيه: { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} {الأحزاب: 6} زكى الله لسانه فقال تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى] {النَّجم:3}، وزكى صدره، فقال: [أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ] {الانشراح:1}، وزكى هديه ومنهجه فقال: [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] {الشُّورى:52}، وقال: {قُلْ

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {آل عمران :31} ،

1-عبادة النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي عليه الصلاة والسلام كما وصف نفسه، أتقى الناس وأخشاهم لله، وأكثرهم عبادة وتألهاً، فمن كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه كان شاكراً. تقول عائشة رضي الله عنها: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أفلا أكون عبداً شكوراً)، وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَ الْعَتَمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ بِعِبَادَتِكَ فَذَهَبَ وَذَهَبْتُ مَعَهُ ... ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ خَوْفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، وَلاَ مَثَلٍ إِلاَّ فَكَّرَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَيُرَدِّدُ فِيهِ شَفَتَيْهِ حَتَّى أَظُنَّ أَنَّهُ يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ فَمَكَثَ فِي رُكُوعِهِ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَيُرَدِّدُ شَفَتَيْهِ فَأَظُنُّ

2-خلقه صلى الله عليه وسلم في الدعوة:

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام لجميع الخلق، ولكان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً في سبيلها، ومن ذلك شفقته بمن يخطئ أو من يخالف الحق ولكان يُحسن إليه ويعلمه بأحسن أسلوب، بألطف عبارة وأحسن إشارة، وفيما يلي مواقف من ذلك:

1- روى أبو أُمامة . رضي الله عنه . قال: إن فتىً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه. فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريباً، قال: (أتحبّه لأمّك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس جميعاً يحبونه لخالاتهم) قال:

3-رحمته صلى الله عليه وسلم:

كانت رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جامعة، تشمل عامة الناس؛ مسلمهم وكافرهم، مؤمنهم ومنافقهم، صالحهم ومسيئهم، فوجوده صلى الله عليه وسلم كان رحمة للجميع قال تعالى في شأنه: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} (الأنفال:33)، ورسالته كانت رحمة للجميع، قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الانبياء:107)، ويقول هو صلى الله عليه وسلم عن نفسه: "إنما أنا رحمة مهداة". وفي القيامة

هو رحمة للجميع، حيث يشفع لهم ليريحهم من هول الموقف. وعندما طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على المشركين أجابهم بقوله: "إني لم أبعث لعاناً" ودعا لهم بالهداية قائلاً: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"، وبلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم أن دعا الله بأن يجعل سَبَّهُ ولعنهُ لِمَنْ أغضبه رحمةً، فقال: "اللهم إنما أنا بشر، فأيُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة وأجراً".

4-صدقه صلى الله عليه وسلم:

اشتهر النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه بالصادق الأمين حتى قبل إعلانه دعوته، وإعلامهم بأن الله قد أرسله إليهم، ولعل في الصورتين الآتيتين ما يؤكد هذا المعنى:

1- اعتراف أعدائه بصدقه حتى قبل إعلانه لدعوته:
فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت الآية {وأنذر عشيرتك الأقربين} (الشعراء :214)، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: "يا بني فهر، يا بني عدي"؛ لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً؛ لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش. فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، كنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: "فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: {تبت يدا أبي لهب وتب} الآية". (المسد:1) وهذه غاية الفطنة منه صلى الله عليه وسلم، حيث انتزع منهم الاعتراف بصدقه، وجعلهم يقرون به على رؤوس الأشهاد، وأقام عليهم الحجة، ثم أخبرهم بأنه رسولٌ من الله إليهم، فأبهتهم.

5-شجاعته صلى الله عليه وسلم:

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأشجع والأجود بنفسه، ومن قصص شجاعته:

1- سبقه لكشف أخبار العدو: فقد روي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ

أَشْجَعَ النَّاسِ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ) أي أن الفرس كان سريعاً فسبقكم إلى الصوت وليس هناك ما يخيف فارجعوا.

2- وروي عن عليٍّ رضى الله عنه أنه قال: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ. وقال علي رضى الله عنه أيضًا: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً

6-عفو النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم متخلقاً بالعفو في أعظم صوره، ولعل في هاتين الحادثتين بعض ما يؤكد لنا ذلك:

1- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي،

فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ). فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: (بَلْ أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً). فعفا عنهم، رغم كفرهم، وإيذائهم له.

المحاضرة السابعة

نماذج من أخلاق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

7- تواضعه صلى الله عليه وسلم :

كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد التواضع، يُجيب دعوة الحر والعبد، والغني والفقير، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فكلمه فجعل تُرْعَدُ فرائصه، قال جرير: فقال له النبي: (هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد في هذه البطحاء). ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي {وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}. قال فنطق الرجل بحاجته.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد كان يوم خيبر ويوم قريظة على حمار خطامه حبل من ليف وتحته ألكاف من ليف.

8- زهده صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة خيره الله تعالى بين أن يكون ملكاً نبياً أو يكون عبداً نبياً، فاختار أن يكون عبداً نبياً.

كان ينامُ على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (دخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر قال: ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى فقال يا عمر: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال : بلى. قال: هو كذلك.

وكان من زهده صلى الله عليه وسلم وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الشهر والشهرين، فعن عائشة . رضي الله عنها . أنها كانت تقول لعروة بن الزبير: والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان . التمر والماء .). وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً

وأهله لا يجدون عشاءاً، وكان أكثر خبزهم الشعير). عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد.

9-صبر النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على الأذى فيما يتعلق بحق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة. وهي شدة مطلوبة مع الكفار والمنتهكين لحدود الله، وهي خير رادع لهم وفيها تحقيق للأمن والأمان. قال تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) (الفتح:29)

ومن صور صبر النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه سابقاً من أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما اشتد الأذى به جاءه ملك الجبال يقول: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. والأخشبان: جبلا مكة أبو قبيس وقعيقعان.

ومن ذلك ما رواه طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز فمَرَّ وعليه حبة له حمراء وهو ينادي بأعلى صوته: " يا أيها الناس!

10- مزاح النبي صلى الله عليه وسلم:

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يمزح ولكنه في مزحه لا يقول إلا حقاً.

ومن صور ذلك أن امرأة عجوزاً سألته صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي. فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً} [الواقعة 35–37]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسولَ الله احمِلْنا على بعير. فقال: أحْمِلُكُمْ على وَلَدِ الناقةِ. قال: وما نَصْنَع بولدِ الناقةِ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هل تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ ؟).

وقال أنس: وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لامرأة: "زوجكِ، ذلك البياضُ في عينيه؟ قالت: عَقْرَى، ومتى رأيتَه؟ قال: وهل من عين إلا وفيها بياض". وعقرى

11- حياؤه صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ.

وعن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ، دَعَا الْقَوْمَ فَطَعِمُوا، ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ؛ فَلَمَّا قَامَ، قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، لِيَدْخُلَ، فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا؛ فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ] {الأحزاب:53}

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ.

غير أن حياءه لم يكن يمنعه من قول الحق والغضب له إلا إنه لم يكن يواجه أحدًا بما يكره، لهذا وصفه الصحابة بأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهيته لذلك.

12-عدل النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ :« وَيْحَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ ». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يَجُوزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ...).

ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم وإقامته لشرع الله تعالى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فِلَقَ الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غَارَتْ أُمُّكم، [غارتْ أُمُّكم]، ثم حبس الخادم، حتى أُتِيَ بصَحفَة من عند التي هو في بيتها ، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها»

. و قال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت : (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها).

13-أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله:

كان صلى الله خير الناس لأهله، وقد تمثل ذلك في طيب كلامه، وحسن عشرته لزوجاته وبإكرامه واحترامه لمشاعرهن، قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).

وكان من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يتودد إليهن، ويرأف بهن، ويمازحهن، تروي السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: "تَقَدَّمُوا". فَتَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: "تَعَالِ أُسَابِقْكِ". فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلِي فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ أَيْضًا مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ تَقَدَّمُوا ثُمَّ قَالَ: "تَعَالِ أُسَابِقْكِ". وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَقُلْتُ وَكَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ: "لَتَفْعَلِنَّ". فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ: (هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ).

14- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال:

كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم، ويظهر محبته لهم.

وكان من شفقته عليهم أنه إذا سمع بكاء الصبي وهو يؤم الناس في صلاة الجماعة أن يسرع في صلاته ويخففها، لئلا تفتتن أمه.

وكان صلى الله عليه وسلم يحمل ابنة ابنته (أمامة بنت زينب) وهو يصلي بالناس، إذا قام حملها وإذا سجد وضعها.

وجاءه الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يخطب في الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ".

15- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الخدم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم لطيفا رحيماً في تعامله مع خدمه إلى أبعد الحدود، فعن أنس رضي الله عنه قال" خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله).

16- هديه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالحيوان:

كان النبي صلى الله عليه وسلم رفيقاً بالحيوان، ويوصي أتباعه بذلك، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).

ولما مرَّ ابن عمر رضي الله عنهما ببعض فتيان قريش وقد نصبوا طائراً غرضاً، ليرموه بالنبل، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئةٍ من نبلهم! تفرق أولئك الفتية لما رأوا ابن عمر خوفاً من إنكاره وغضبه، فقال ابن عمر من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: دخلت امرأة النار في هر ربطته فلا هي أطعمته ولا هي أرسلته يأكل من خشاش الأرض حتى مات ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر... وبينا رجل راكب

بقرة التفتت إليه فقالت : إنى لست لهذا خُلقت إنما خلقت للحرث ، ويشهد على ذلك أبو بكر وعمر.

المحاضرة الثامنة

أخلاق المهنة ومدى الحاجة إلى دراستها

تعريف المهنة:

المِهنَة لغة: بكسر الميم وفتحها، والفتح أشهر. وتطلق على بذل النفس في الخدمة والحذق فيها. وبهذا المعنى ورد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما على أَحَدِكم لو اشترى ثَوْبَيْن ليوم جمعته سوى ثَوْبَي مَهْنَته). أي سوى ثوبي الخدمة والعمل، إذ إن ثوب الخدمة والعمل يكون مبتذلاً ولا يصان، ولا تتم المحافظة على نظافته. وبهذا المعنى أيضاً ما ورد عَنْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سئلت عن مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ فَقَالَتْ: "كَانَ يَكُونُ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ". وفي حديث آخر قالت: "كان يفعل ما يفعل أحدكم في مهنة أهله، يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرقع دلوه".

وتطلق المهنة في اللغة أيضاً على الحذق والمهارة في العمل أو الحرفة التي يمتهنها صاحبها.

وفي الاصطلاح المعاصر تطلق المهنة على: الحرفة التي تشتمل على مجموعة من المعارف العقلية ومجموعة من

الممارسات والخبرات التدريبية، يؤديها الفرد من خلال ممارسته للعمل. أو هي: عمل يحتاج إلى معارف عقلية وخبرة ميدانية. كالطب، والهندسة، والتدريس، والمحاسبة.

مرادفات لفظ المهنة:

1-الحرفة:

هناك ألفاظ قريبة في معناها من المهنة وربما التبست بها، كالحرفة والصنعة والعمل والوظيفة .. وفيما يلي بيان لمعانيها وأوجه الفرق بينها:

الحِرفة: وهي لغةً: بالكسر؛ الصنعة أو وسيلة الكسب التي يَرْتزق منها المرء بصفة مستمرة، من زراعة أو صناعة أو تجارة، وتحتاج إلى تدريب قصير. وسميت بذلك لأنه مُنْحرف إليها. ويقال حِرْفَتُهُ أنْ يفعل كذا: أي؛ دأبه وديدنه.

والاحتراف: هو الاكتساب.

وليس للاحتراف معنى اصطلاحي خارج عن المعنى اللغوي. وغالباً ما تستعمل في الأعمال اليدوية سواء كانت بآلة أو بغير آلة. من ذلك ما ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما استُخْلِف، وكان تاجراً، فأراد أن يخرج لتجارته، فقال له عمر: إلى أين؟ قال: أحترف لأهلي. قال: ومن لمصالح المسلمين وإدارة شؤونهم. ارجع ويُصرف لك من بيت المال حاجتك، فرجع فجعلوا له ألفين. فقال: زيدوني فإن

لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمسمائة.

وقال أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه "لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ –أي أبو بكر– لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ". فعمل أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه كان في التجارة، وقد سماه حرفة.

2–العمل:

العمل لغةً: يُطلق على المهنة، وعلى الفعل.

والفارق بينه وبين كلٍ من المهنة والحرفة:

أ– أن العمل قد يكون من الإنسان أو الحيوان، والحرفة لا تكون إلا من الإنسان. فالثور الذي يحرث الأرض يعمل، والطائر الذي يبني لنفسه عشاً يعمل، ولكن لا يُقال إنه محترفٌ أو ذو مهنة.

ب– العمل قد يكون ذهنياً، وقد يكون بدنياً، وأما الحرفة فالغالب أنها تُطلق على الأعمال اليدوية.

ج– العمل يستعمل للمرة الواحدة ولأكثر، ولا يحتاج إلى التدريب، بخلاف المهنة أو الحرفة فلا بد فيها من بعض التدريب والاستمرارية.

3-الصنعة:

الصنعة لغة: ترتيب العمل وإحكامه على النحو الذي تعلمه، وبما يوصل إلى المقصود منه. فيقال للنجار صانع، ولا يقال للتاجر صانع؛ لأن النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب، وكذا سبق علمه بالأسباب التي توصله إلى المقصود منه، وأما التاجر فلا يعلم إذا اتجر هل سيصل إلى ما يريده من الربح أم لا ؟.

الفرق بين الصنعة والعمل: يمكن تلخيص أوجه الفرق بين الاثنين فيما يأتي:

أ- العمل يُطلق على ما يصدر من الإنسان أو الحيوان، بينما لا تُطلق الصنعة إلا على ما صدر من الإنسان.

ب- العمل لا يتطلب العلم بما يعمل له، بخلاف الصنعة فإنها تتطلب العلم والمهارة، بل إن الصنعة لا تُطلق إلا على ما كان بإجادة، وفيه معنى الحرفة.

ج- الصنعة أخص والعمل أعم. وكل صنعةٍ عملٌ، وليس كل عملٍ صنعةً.

4-الوظيفة:

الوظيفة لغةً: ما يقدَّر من عمل أو طعام أو رزق في زمن معيَّن، وتأتي أيضاً بمعنى الخدمة المعيَّنة.

وفي الاصطلاح المعاصر: تطلق على وحدة من وحدات العمل، تتكون من عدة أنشطة مجتمعة مع بعضها في المضمون والشكل، ويمكن أن يقوم بها موظف واحد أو أكثر. كالمحاسبة في شركة مثلاً فإنها وظيفة، تحتوي على مجموعة من الأنشطة من جمع للبيانات والفواتير، وتصنيفها وإدخالها في الحاسوب، وجمعها، وإجراء المقابلة والمقاصة بين الوارد والصادر منها ثم إخراج النتيجة النهائية لليوم، ثم للشهر، ثم للسنة، وهكذا... وقد يكون للشركة محاسب واحد أو مجموعة من المحاسبين.

خصائص المهنة:

للمهنة جملة من الخصائص أهمها:

- تقديم خدمات أساسية ومفيدة للمجتمع.
- حاجتها إلى الإعداد العلمي من خلال برامج ذات أهداف محددة وواضحة، ومن جهات علمية معترف بها.
- لكل مهنة معارف ومهارات خاصة بها.
- لكل مهنة قوانين وآداب تنظمها، وتحكم العمل بها.
- غالباً ما يوجد في وقتنا الحالي تجمع للعاملين بالمهنة يتحدث باسمها ويدافع عنها كالنقابات والجمعيات.

- لكل مهنة معالمها الواضحة التي تميزها عن غيرها من المهن.

الحكم الشرعي للمهنة:

إن من يقرأ في كتاب الله تعالى، أو في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يجد أن الإسلام يحث على العمل، ويرفع من شأنه. كما أن من يقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة، أو غيره من الأنبياء، أو يقرأ في سير الخلفاء الراشدين، أو الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، أو في سير سلف الأمة وأئمتها، يجد أنهم جميعاً قد مارسوا مختلف المهن من تجارة ورعي وزراعة وخياطة وحدادة وغيرها. من ذلك مثلاً:

قول الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام: [وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ] {الأنبياء :80} واللبوس: الدروع.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده).

تعريف أخلاق المهنة:

نعني بأخلاق المهنة تلك التوجيهات النابعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها أفراد المجتمع، والتي ينبغي للشخص أن يتحلى بها أثناء ممارسته للمهنة.

الفرق بين أخلاق المهنة وأنظمتها:

ذكرنا آنفاً تعريف أخلاق المهنة، وأما أنظمتها فتُعَرَّف بأنها تلك القوانين والتشريعات التي تحدد وتنظم عمل الممارسين للمهنة.

وهذا يعني:

أ- أن أخلاق المهنة تهتم بما ينبغي فعله، وبما يُجَمِّل صورته أمام الآخرين، ويكسبه احترامهم، وأما أنظمة المهنة فتهتم بما يجب فعله.

ب- إن من يخالف أخلاق المهنة يستحق اللوم والعتاب، وأما من يخالف أنظمتها فإنه يستحق العقوبة الزاجرة أيضاً، ولا يكتفى معه باللوم والعتاب.

مصادر أخلاق المهنة:

نصوص الشريعة كتاباً وسنةً هي مصدر التكاليف الشرعية عامةً بما فيها الجانب الأخلاقي، وأخلاق المهنة بصفتها تمثل جانباً من جوانب السلوك الأخلاقي، فإن مصدرها

أيضاً هو الشرع، وقد جاءت الشريعة لتأخذ بيد الإنسان إلى الحياة الهانئة الطيبة الآمنة السعيدة، وليعيش في ظلال الإيمان الوارفة، ومن ثمَّ كانت تحثُّ على كل فضيلة، وعلى كل ما هو من مكارم الأخلاق، وعلى إتقان العمل، وعلى بذل النصيحة للآخرين والسعي فيما ينفعهم، وعلى مراقبة الله عز وجل في كل شؤون الحياة.

ونصوص الشرع في ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال: قول الله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ][النحل:97] وقوله تعالى: [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ]،

مدى الحاجة إلى دراسة أخلاق المهنة:

لكل مهنة أخلاق وآداب عامة تحددها القوانين واللوائح الخاصة بها، ومن خلال مراعاتها تتم المحافظة على المهنة ومكانتها. وكثيراً ما تجمع هذه الآداب والأخلاق في عصرنا هذا في وثيقة واحدة، يطلق عليها ميثاق الشرف المهني.

ومن المعلوم أن مجموع المهن في المجتمع (كالتدريس والقضاء والطب والهندسة والمحاسبة وغيرها) هي الأداة المنفذة لأهداف وتطلعات أبناء المجتمع، فإذا فقد العاملون فيها آداب وأخلاق مهنتهم، كان ذلك نذير شؤم عليهم، وعلى

مجتمعهم، وكان دليلاً على قرب نهايتهم، فكما يقول الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ونظراً لاتساع سلطان العلم في عصرنا هذا وما رافقه من تقنيات مذهلة في معظم مجالات الحياة، ولأن مجالات العمل قد تضاعفت أضعافاً كثيرة عن العصور السابقة، فقد أصبحت الحاجة إلى أخلاق المهنة أكثر إلحاحاً، وأشد ضرورةً تلافياً لما يمكن أن يوجه إليه المهنة من الاستغلال السيئ من قبل بعض المنحرفين، ومرضى النفوس، فتصبح وسيلة للإفساد

صفات الميثاق الأخلاقي:

لكي يحقق الميثاق الأخلاقي أهدافه يجب أن يتصف بما يلي:

- أن تكون مواده منسجمة مع قيم المجتمع ومبادئه.
- أن تكون مختصرة.
- أن تكون سهلة وواضحة.
- أن تكون معقولة ومقبولة من الناحية العملية.
- أن تكون شاملة.
- أن تكون إيجابية.

وسيكون لنا في المحاضرة الأخيرة بمشيئة الله وقفة مع أنموذج من هذه المواثيق.

المحاضرة التاسعة

الأخلاق الجامعة للمهنة

تمهيد:

للمهنة عناصر أربعة هي: العامل ورب العمل والمستفيد والمجتمع.

ويُقصد بأخلاق المهنة هنا تلك الصفات التي تنشد الكمال في هذه العناصر الأربعة.

ولما كانت ممارسة المهنة تتم في إطار التزام قانوني أو تعاقدي، فإنه غالباً ما يشتمل هذا القانون أو العقد على بعض الخصال الأخلاقية باعتبارها التزاماً واجباً.

ونحن في دراستنا هذه سنستبعد تلك الخصال الواجبة عن محل البحث.

كما سنستبعد الخصال الأخلاقية العامة المطلوبة دائماً وفي كل مجالات الحياة كبر الوالدين والإحسان للجار وبذل النصيحة للآخرين عن محل البحث.

وسنقتصر على ما له صلة بكمال المهنة مما لم يشتمل عليه قانون المهنة أو التعاقد.

وسنجمع هذه الأخلاق (أخلاق المهنة) في خمس مجموعات هي:

الطهارة المهنية، الاستقامة المهنية، التعاون المهني، الأمانة المهنية، المحبة المهنية.

الطهارة المهنية

- الطهارة لغة: مصدرٌ من طَهُرَ يَطْهُرُ، وتعني النظافة والنقاء والتنزه عن الأقذار، حسية كانت تلك الأقذار أو معنوية.

والطاهر هو: البريئ من العيوب، وهو النزيه، والشريف.

وفي الشرع: تطلق على غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة (أي رفع الحدث الأصغر أو الأكبر)، أو إزالة نجاسةٍ.

- أقسام الطهارة: الطهارة على ضربين: حسية، ومعنوية.

الحسية: وتتحقق برفع الحدث أو إزالة النجس أو ما في معناهما وعلى صورتهما.

والمعنوية: وتتحقق بترك الذّنب وتنقية النّفس من العيوب.

- **تحقق الطهارة المهنية:** تدخل الطهارة المهنية تحت القسم الثاني، أي الطهارة المعنوية، وتعني تطهير المهنة وتنزيهها عن النقائص والعيوب، ويتحقق ذلك من خلال المحافظة على أمرين:

1 – السمعة الطيبة ممن يقدم المهنة: وذلك بأن يترفع عن النقائص والعيوب ويتصف بسمعة طيبة.

2 – جودة الأداء: وذلك من خلال تنزيه المهنة نفسها عن العيوب والنقائص.

شروط الطهارة المهنية:

يشترط في المهنة لتتصف بالطهارة أن تتوافر فيها ما يأتي:

1- أن يمتلك كلٌ من العامل ورب العمل صفحة بيضاء في سجل المهنة، ويتمتع بسيرة طيبة (أي: شهادة حسن سلوك) وأن يحرص على استمرارها كذلك. فلو عُرف عن قاض أو موظف قبوله للهدية تلوثت صفحته المهنية، ولم تعد بيضاء، ولو عرف عن طبيب تتبعه لعورات النساء تلوثت صفحته، ولو عرف عن تاجر غشه تلوثت صفحته ... وهكذا.

2- أن يلتزم كلٌ من طرفي المهنة (العاملُ وربُ العمل) بالقواعد المنظمة لممارستها. فرب العمل يجب أن يحصل على ترخيص مزاولة المهنة قبل ممارستها، وأن لا يتعاقد مع من لم يستوف شروط التعيين (كالسن القانونية، والمؤهل الدراسي وغيرها)، وإلا تلوثت صفحته المهنية، كما يجب أن يكون العامل مستوفياً شروط التعيين (كأن يكون حاصلاً على المؤهل الدراسي في المهن التي تشترطه كالطب والصيدلة والهندسة، وأن يكون ضمن حدود السن القانونية المحدد).

التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية:

لا تقوم مهنة معتبرة بغير طهارة، ومن ثَمَّ كان الحد الأدنى من هذه الطهارة ضرورة لازمة، ومطلباً لا غنى عنه. وهذه الضرورة استلزمت مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال صدور قوانين تنظم وضع كل مهنة، كما أن هذه الضرورة دفعت الجهات المختلفة إلى وضع صيغ للعقود تتضمن الشروط والضوابط التي يجب على المتعاقدين الالتزام بها إما بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشرة كالإحالة إلى عرف أو جهة ونحوها. وبذلك تحولت تلك الصفات الأخلاقية من كونها أخلاقًا كريمة مرغوب فيها إلى التزام واجب، يترتب على مخالفتها المساءلة القضائية.

إلا أن الإحاطة بخصال الطهارة المهنية من خلال تلك القوانين والعقود غير ممكن لكثرة وتشعب تلك الخصال، ولاتساع ميدانها، الذي هو ميدان الفضيلة والسمو، ومن ثَمَّ كان الزائد عن حد الضرورة أو الواجب مما لم ينص عليه العقد أو القانون هو المراد بخصال الطهارة المهنية، وهو الذي يدخل في أخلاق وآداب المهنة، ويترتب على الإخلال بها المساءلة الأخلاقية دون القضائية.

أدلة الطهارة المهنية:

يدل لخلق الطهارة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها:

1- قول الله تعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} {النمل:88} والإتقان والجودة معنى من معاني الطهارة المهنية.

2- ومنها قوله تعالى: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}، فالكف عن الفساد والإفساد والترفع عنهما من خلق الطهارة المهنية؛ لأنها من باب التنزه عن النقائص والعيوب.

3- ومنها: { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً} فالتواضع، ولين الجانب، والإعراض عن السفيه، كل ذلك من خلق الطهارة المهنية، وتحقق لصاحبها السمعة الطيبة.

مظاهر الطهارة المهنية عند الفقهاء:

تكلم فقهاؤنا عن الطهارة المهنية التي تعني السمعة الطيبة، والسيرة الحميدة، وجودة الأداء والإتقان، وإن لم يسموها بهذا

الاسم. وسنعرض فيما يأتي أمثلة من باب القضاء على سبيل التمثيل والبيان وليس الحصر:

- **بطلان تولية الفاسق القضاء:** قال فقهاؤنا: لا يجوز تولية الفاسق القضاء مع وجود القاضي العدل، وإن تمَّ ذلك فهو باطل، وذلك حفاظاً على سمعة القضاء وسمعة القاضي من جهة، ولتحقيق جودة الأداء في الحكم، وإقامة العدل بين الناس من جهة أخرى، ولا يخفى أنهما من خصال الطهارة المهنية.

- **تحريم تولية الجاهل القضاء:** قال فقهاؤنا: يحرم تولية الجاهل القضاء مع وجود العالم؛ للحفاظ على جودة الأداء، وتحقيق العدالة، وهي من خصال الطهارة المهنية.

- **كراهة تولية المفضول القضاء:** قال فقهاؤنا: يكره تولية المفضول القضاء مع وجود الفاضل (أو الأفضل)؛ للحفاظ على جودة الأداء أيضاً، وتحقيق الطهارة المهنية.

ومثل هذه المسائل نجدها أيضاً في باب الإمامة في الصلاة، وفي الولاية في النكاح، وفي الولاية على المال للقُصَّر (كالمجنون والسفيه واليتيم)، وفي ناظر الوقف، وفي ولاية الحسبة وغيرها كثير.

ومن هذا الباب ما تطلبه جهات العمل أو التعاقد من المدرس أو الموظف أو الطبيب شهادةً بحسن سلوكهم.

ومنه ما نجده في بعض المواثيق من النص على أنه يفصل من العمل من يرتكب ما يخلٍ بالآداب العامة في مكان الوظيفة، كالسرقة مثلاً، أو جريمةً تمس الشرف أو الأخلاق أو الأمانة وهكذا.

المحاضرة العاشرة

الاستقامة المهنية

معنى الاستقامة:

الاستقامة لغة: مشتقة من القيام، وتعني الثبات والدوام والملازمة والاستمرار على الشيء، كما أنها تفيد معنى الاعتدال والاستواء.

فمن الأول قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}

{التوبة:7} ، أي: فما استمر وثبت أولئك المشركون معكم على العهد، فاستمروا أنتم معهم واثبتوا.

ومن الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم للمأمومين خلفه في صلاة الجماعة: (أقيموا صفوفكم). أي اعتدلوا واستووا ولا تختلفوا.

والاستقامة المهنية في الاصطلاح : لا تخرج عن معناها اللغوي، أي أنها تفيد الاعتدال في أداء المهنة من جهة، وملازمة المهنة والوفاء بمصالحها من الطاعة والمشورة والصدق من جهة أخرى.

شروط الاستقامة المهنية:

لكي تتحقق الاستقامة المهنية (أي الاعتدال والاستقرار والوفاء بمصالحها) لابد من توافر الشروط التالية:

1- حرص كل واحد من الطرفين على الآخر: أي أن كل واحد من طرفي العقد (العامل ورب العمل) مطالبٌ بالتحلي بالصفات الأخلاقية الحميدة التي من شأنها أن تغرس في نفس صاحبه الثقة والطمأنينة، وتشعره بحرصه على الاستمرار في التعاقد معه. وقد حث الشرع على هذا، ففي الحديث القدسي يروي النبي عليه الصلاة والسلام

عن ربه عز وجل: "أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجت من بينهما"

2- مطاوعة الزملاء: فالثبات والاستقرار والاستمرار في المهنة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان كل واحد يراعي مشاعر صاحبه، ويحترم رأيه، ويتنازل له عن بعض ما يراه، وفي بيان أهمية ذلك نجد النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، يوصي به أَبَا مُوسى

التوجيه الفقهي لخلق الاستقامة المهنية:

ما أسلفناه في حديثنا عن الطهارة المهنية من ضرورة توافر الحد الأدنى منها يقال هنا أيضاً وفي كل خصال أخلاق المهنة، فالحد الأدنى منها لا بد منه، وقد نصت عليه القوانين والعقود، فخرجت من مجرد خصال أخلاقية إلى واجبات ملزمة، يترتب على الإخلال بها مسؤولية قضائية. غير أن القوانين والعقود لن تحيط بكل خصال الاستقامة المهنية، لأن العقود تستحدث باستمرار والوقائع تتجدد دائماً، ومن ثمَّ كانت الحاجة إلى المزيد من هذا الخلق، بحيث يتحقق الغرض منه.

وننبه هنا أيضاً إلى ما أسلفناه في خلق الطهارة المهنية من أن:

1- الاستقامة المهنية تختلف في بعض جوانبها من مهنة إلى أخرى، أي أن الاستقامة المهنية المطلوبة من القاضي تختلف في بعض جوانبها عن المطلوبة من الطبيب أو التاجر أو المدرس.

2- كما أننا لا نبحث هنا إلا في الاستقامة ذات العلاقة بالمهنة وما يؤثر فيها، ولا شأن لنا بعلاقاته الأسرية أو الاجتماعية.

أدلة الاستقامة المهنية:

دلت آيات وأحاديث كثيرة على طلب هذا الخلق من المسلم من ذلك:

1- قول الله تعالى: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] {هود:112} وجه الدلالة في الآية أنها تطالب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بالاتصاف بخلق الاستقامة صراحة، وهي عامة، فيدخل فيها الاستقامة المهنية أيضاً؛ لأنها فرع عنها.

2- قوله تعالى في صفات عباد الرحمن: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} {الفرقان:67} أي أن هؤلاء العباد المؤمنين الصالحين الواقفين عند حدود الشرع يتصفون بالاعتدال حتى في حالة الإنفاق في أوجه البر والخير، ويتجنبون الإفراط والتفريط لمنافاتها لخلق الاستقامة،

وإذا كان هذا الاعتدال مطلوباً في الإنفاق في سبل الخير – مع حث الشرع عليه– فلأن يكون مطلوباً في غيره من الأمور المباحة من باب أولى.

مظاهر الاستقامة المهنية عند الفقهاء:

تكلم الفقهاء عن مظاهر الاستقامة في بعض المهن كالحكم والقضاء والمعاملات المالية، وحذروا من الخصال التي تتنافى مع خلق الاستقامة المهنية، وفيما يلي ذكر لبعض هذه المظاهر:

1-العدل في المعاوضات المالية:

الأصل في المعاوضات المالية أنها تقوم على التراضي بين طرفي العقد، والأصل في الطرفين أنهما عاقلان بالغان راشدان يدركان مصلحتهما، ومن ثمَّ فإن الشرع يترك لهما لإرادتهما واتفاقهما، ولا يتدخل بينهما، إذ ليست مصلحة أحد الطرفين بأولى من الآخر، إلا أن بعض الأشخاص قد يتعرض للخديعة أو الاستغلال من الطرف الآخر لظروف خاصة، فعندها يتدخل الشرع ليحمي الطرف الضعيف، ومن هذا الباب ما يحصل للمسترسل. والمسترسل هو: الشخص الذي يتصف بسلامة السريرة، ويجهل قيمة السلعة، ولا يحسن المساومة، فيطمئن إلى صدق البائع،

ويستسلم له، فيستغل البائع ذلك فيه، فيبيعه بغبن فاحش (أي بزيادة كبيرة لا تكون عادة بين المتبايعين، وإنما تحصل هنا استغلالاً لحالة المشتري واسترساله) فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك: "غبن المسترسل حرام"، وفي بعض الروايات: "ربا". أي أن خداعه واستغلاله حرام شرعاً، وأن تلك الزيادة ربا، ولا تحل له. وقد ورد أن أناساً أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل يُستغل ويُغْبَنُ (أي يُخدع) في بيعه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا بايعت فقُلْ لَا خِلَابَةَ"، والخلابة هي الخديعة. أي أني اشتريت منك بشرط أن لا تكون قد خدعتني، فإذا تبين أنك قد خدعتني، فلي الخيار في إبطاله. ولا شك أن هذا الخداع وهذا الاستغلال منافٍ للأخوة الإيمانية، وخارجة عن العدل الذي جاء به الشرع، ومصادمة لخُلق الاستقامة المهنية.

2-العدل في المكيال والميزان:

قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...}. فالمطلوب هو العدل بإطلاق، في جميع مجالات الحياة، ومع جميع الناس، مهما اختلف الزمان أو المكان أو

الجنس أو الدين. ومن ذلك العدل في المكيال والميزان، فقد ورد التأكيد عليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، لأهمية المال وخطورته، وتطلع النفوس إلى المزيد منه، بل إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسم المطففين، أي المتلاعبين بالمكاييل والموازين، فحذرت من هذا الفعل أشد التحذير، وخوفتهم من المصير الأليم الذي ينتظرهم في القيامة. قال تعالى: {ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين} فالعدل من خلق الاستقامة المهنية، والتطفيف في المكاييل والموازين ينافيه، ويجب الابتعاد عنه.

3-الالتزام بمتطلبات المهنة وبأدائها على وجهها المطلوب:

أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بأداء المهنة على وجهها المعروف في صور المعاوضات المالية، وعدم الإخلال بمتطلباتها اللازمة؛ لقولة تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ} {المائدة :1} ولا يخفى ما لهذا من أثر طيب وإيجابي على تحقيق الثبات والدوام والاستقرار للمعاملات، وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية.

4-الشورى:

ويمكن تعريف الشورى بأنها مراجعة الآخرين من أهل الاختصاص والخبرة؛ لأخذ رأيهم في الموضوع الذي ينظر فيه، ثم العمل بموجبه.

وهي من خصال خلق الاستقامة المهنية، ومطلوبة بصورة أكيدة كما أسلفنا في الشروط. قال تعالى مخاطباً نبيه: {وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله} ، وقال تعالى: {وأمرهم شورى بينهم} ، ومن يقرأ في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أو سِيَر خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم يقف على صور كثيرة منها، ومن وقائع متنوعة في السلم والحرب، في القضاء والإدارة والتشريع، وكلها تجسد مبدأ الشورى الذي كان يلتزم به الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضوان الله عليهم في حياتهم.

وفي هذا القدر من الأمثلة كفاية للتدليل على أهمية هذا الخلق في الدين والدنيا.

المحاضرة الحادية عشرة

التعاون المهني

خلق التعاون المهني

تعريف التعاون المهني:

التعاون لغة: المساعدة، مِنْ عاونه وأعانه إذا ساعده.

والمعاون: الساعد.

والتعاون المهني في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، وهو المساعدة على أداء المهنة.

أي المساعدة في إيجاد المهنة، وأداء مهامها بروح الفريق الواحد. وإنما يتحقق ذلك بأكمل صوره بالتزام جميع الأطراف بتسييد معاني الأخوة والاحترام الصبر على المكاره، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس الشريف.

إذاً فتحقيق التعاون المهني على أكمل وجه يوجب على أطراف المهنة أن يسعوا في واقع مهنتهم إلى تحقيق أمرين اثنين هما:

1- تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.

2- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وسياسة الصبر.

شروط التعاون المهني:

لابد لتحقيق معاني الأخوة والاحترام والصبر والتناصح والتنافس الشريف من توافر الشروط التالية:

1- استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة:

قال تعالى: {إنما المؤمنون أخوة} وهذه أولى وأهم الشروط لتحقق التعاون المهني، إذ تكاد الشروط الأخرى تكون نابعة، ومتفرعة عن هذا المعنى، فالأخوة تستلزم المحبة والسماحة والنصح وغيرها، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المعاني في قوله: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله

ولا يحقره، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

2- إنكار الذات:

إنكار الذات والترفع عن الأنا من ضرورات التعاون المهني، وبقدر ما يستطيع المرء التخلص منها، يكون استعداده للتعاون أكبر، ويكون محبته للخير للآخرين أعظم، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك دليلاً على استكمال الإيمان فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه".

التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني:

كما أسلفنا في الخصال السابقة (الطهارة المهنية والاستقامة) فإن الحد الأدنى من هذا التعاون أيضاً ضروري وإلزامي بنص القانون أو العقد، والإخلال به يستوجب مسؤولية قضائية، ويبقى ما فوقه مطلوباً من جهة الأخلاق، ويستوجب مسؤولية أخلاقية.

وأيضاً ننبه هنا إلى ما أسلفناه من قبل من أن التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها:

1- فالتعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن التعاون المطلوب بين الطبيب والمريض، أو طاقم الطائرة... وهكذا.

2- كما أننا لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران ... ونحو ذلك.

أدلة التعاون المهني:

يدل لخلق التعاون المهني أدلة كثير من القرآن والسنة، وفيما يلي نذكر بعضاً منها:

1- قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} {المائدة:2} فالتعاون على كل ما هو من البر والخير مطلوب، والتعاون على كل ما فيه نفع العباد مطلوب، ولا شك أن التعاون في أداء مهام المهنة أحد صورها.

2- وقال تعالى على لسان ذي القرنين: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً} {الكهف:95}. فهذا ذو القرنين وهو مَنْ هو في قوته ودهائه يطلب الإعانة لإنجاز ما هو مطلوبٌ منه، فالفرد قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

3- وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} {الحجرات:10}. وقد سبق أن بينا في الشروط معاني هذه الأخوة وضرورتها للتعاون المهني.

4- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {آل عمران:200}. فالآية لا تأمر بالصبر فحسب، بل بالمصابرة أيضاً، وهي أشد وأبلغ من الصبر، حيث فيها حمل النفس على المزيد من التحمل والثبات.

مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء:

هناك عقود ومهن كثيرة يتجلى فيها مظاهر التعاون المهني، ذكرها الفقهاء في مصنفاتهم، وسنشير إلى بعض منها فيما يأتي:

1- الإقالة في العقود:

والإقالة تعني فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين؛ بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره؛ أي أن أحد الطرفين يندم ويريد إبطال البيع أو الإجارة أو نحوهما من بعد إبرام العقد ولزوم آثاره، فيستجيب له الآخر؛ تقديراً لظروفه، ومراعاة لحق الأخوة التي قررها الشرع. وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة؛ لأنها من باب التعاون على البر، ويقول فيها صلى الله عليه وسلم: "من أقال مسلماً عثرته، أقال الله عثرته يوم القيامة". والإقالة قد تكون بين متعاقدين في عقد بيع أو إجارة، أو مريض مع طبيب، أو مهندس أو شركة للمقاولات مع من يريد إنشاء مبانٍ أو محلات تجارية.

ولا شك أن ذلك من باب التعاون على البر، والاستجابة لدواعي الأخوة، وهما من خصال التعاون المهني.

2- عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه:

قال صلى الله عليه سلم: "لا يخطب أحدكم على خِطبة أخيه، ولا يبع على بيع أخيه، إلا بإذنه". أي أن الشرع ينهى عن المزاحمة والمنافسة غير الشريفة، والتي من شأنها أن توغر الصدور، وتجلب الكراهية والحقد، لما في ذلك من المنافاة لحقوق الأخوة والتعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس، فالرجل الذي يقدم على خِطبة امرأة، من بعد أن تمت خِطبتها من قِبل آخر، وتم الاتفاق بينهما، يَقْدِمُ على عملٍ مشين، وكذا من يأتي ويسعى لنقض عقد بيعٍ قد تمَّ وأبرم، فيقول للمشتري: ردَّ عليه سلعته وأبيعك مثلها بسعر أرخص، أو أبيعك أحسن منها بنفس السعر! مثل هذا العمل ينافي خلق الأخوة والتعاون، وعلى العكس من ذلك يؤدي إلى التدابر والتنافر، والتنافس غير الشريف، ولا شك أن الشرع لا يرضى لأتباعه مثل هذه الأخلاق المشينة والمذمومة، فالله عز وجل يحب معالي الأمور، ويكره سِفسافها.

3- التصريح بما في السلعة من العيوب :

لا خلاف في أن بذل النصح واجب للمسلم على أخيه المسلم، فقد كان رسول الله يأخذ على الناس في البيعة بذل النصيحة كما يأخذ عليهم الفرائض، يقول جرير: "بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليَّ: والنصح لكل مسلم" وهذا الخُلق يتطلب من البائع أن يذكر كل عيب يعلمه في سلعته، أو يخبر المشتري بأنها مغشوشة

مثلاً، فيبذل له النصيحة، وإلا كان كاتماً للعيب، غاشاً له، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا". فكتمان العيب محرم، ويمحق بركة البيع في الدنيا، ويُعَرض فاعله للعذاب في الآخرة.

قال بعض أئمة السلف : (لا يحل لامرئٍ بيعُ سلعةٍ يعلمُ بها داءً إلا أخبره). ويقال مثل ذلك في المشتري، إن وجد أن السلعة تستحق أكثر مما يطلبه البائع، وأن صاحبها يجهل قيمتها، فالذي يتطلبه الخلق القويم أن يخبره بذلك، وقد ورد أن جرير بن عبدالله –راوي الحديث– اشترى فرساً فطلب صاحبها منه مائتي درهم، فوجد جرير أن الفرس تستحق أكثر، وأنه يجهل قيمتها، فزاده في سعرها حتى أوصلها إلى ثمان مائة درهم، ثم ذكر الحديث السابق "والنصح لكل مسلم".

المحاضرة الثانية عشرة

الأمانة المهنية

تعريف الأمانة المهنية:

الأمانة لغة: عكس الخيانة، وتفيد الأمن والاطمئنان وعدم الخوف.

وتطلق أيضاً على كل ما عُهد به إلى الإنسان من حقوق أو واجبات أو حاجات للآخرين؛ فيُطالب بالحفاظ عليها وإيصالها إلى ذويها سالمة.

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58) .

وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 28).

والأمانة المهنية في الاصطلاح لا تخرج عن معناها اللغوي، وهي تعني الحفاظ على المهنة بحفظ عهدها، وعدم الخيانة فيها، وتتمثل في أصول ثلاثة هي:

شروط الأمانة المهنية:

يمكن إجمال أهم الشروط التي يجب توافرها لتحقيق الأمانة المهنية، في الآتي:

الشرط الأول:

أن يحافظ جميع الأطراف على أسرار المهنة؛ مما يعد إفشاؤه نقضاً للعهد.

فمثلاً الطبيب يطالب بالحفاظ على نوعين من الأسرار:

- ما يتعلق بجهة عمله كالمستشفى فلا يفشي أسراره.
- ما يتعلق بالمريض ووضعه الصحي مما يعد سراً فلا يفشيه.

وعليه فلا يدخل في أسرار المهنة:

1- ما لا علاقة له بالمهنة؛ كأن يعترف المريض أمام الطبيب بأنه قد ارتكب جريمة أو جناية في حق آخرين، أو أنه

اعتدى عليهم، فهذه لا علاقة لها بالأسرار الطبية ويجب الكشف عنها إذا تعلقت بها حقوق للآخرين.

التوجيه الفقهي لخلق الأمانة المهنية:

ما ذكرناه سابقاً في الطهارة المهنية وما بعدها يتكرر هنا، ومن ثمَّ فلا داعي لإعادته مرة أخرى.

بمعنى أن الحد الأدنى من الأمانة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود؛ ومن ثمَّ فإننا دراستنا هنا تقتصر على ما وراء ذلك.

كما أن الأمانة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطالب به الطبيب يختلف عن المدرس والمهندس وهكذا، وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة كالبيت والشارع ونحوهما.

الأدلة في الحث على الأمانة المهنية:

يدل لخلق الأمانة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث كثيرة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما يلي:

1- قال الله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء 58).

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال 27).

فالآيتان تأمران بالحفاظ على الأمانات وأدائها على وجهها المطلوب، والأمانة المهنية جزء منها.

2- قال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ} (التحريم 3).

وفي هذا ما يدل على أنه ما كان ينبغي لهن الإفضاء بالسر الذي أسره النبي صلى الله عليه وسلم لهن.

مظاهر الأمانة المهنية:

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال الأمانة المهنية، منها:

أولا: المنع من استغلال المهنة: والمقصود باستغلال المهنة: هو تسخيرها لتحقيق مصالحه الشخصية، أو لما يمكن أن تحقق له ذلك. ومن صورها الفقهية قبول الهدايا، فقد حذر الشرع من استغلال المهنة فحرم الرشوة، وحرم كذلك هدايا العمال والمسؤولين التي تأخذ صورة الهدية لكنها في حقيقتها رشوة، إذ لولا ذلك لما كانت تهدى إليه، ومن هنا أنكر

الرسول صلى الله عليه وسلم على ابن اللتبية فعله حين استعمله على الزكاة (ليجمعها) فجاء وقال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ! فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: " مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ ثم حذر من عقوبة هذا الفعل يوم القيامة". وقال في حديث آخر: "هدايا العمال غلول". وقال أيضاً: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مِخْيَطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة".

والغلول في الأصل: أخذ شيء من مال الغنيمة أو المال المشترك قبل القسمة، وسمي هذا غلولاً؛ لما فيه من نقض العهد، وخيانة الأمانة.

ثانياً: المنع من الغش في المهنة: والغش في المهنة يعني التدليس والخداع في أدائها بما يوهم السلامة، أو كثرة راغبيها لإغراء الآخرين بها، أو رفع الأجر عليهم.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من التدليس والخداع في المهنة هو تحريم التصرية.

والأصل الفقهي الذي يتأسس عليه المنع من ادعاء كثرة الطالبين للمهنة هو تحريم النجش.

أما التصرية فهي: ترك حلب الدابة مدة من الزمن، حتى يجتمع قدرٌ كبيرٌ منه في ضرع الدابة، فيتوهم الراغب في الشراء أنها كثيرة اللبن، فيقدم على شرائها.

وهذا العمل محرم بلا خلاف؛ لما فيه من الخداع والغش، والإخلال بالأمانة المهنية.

وقد وردت الأحاديث في النهي عن الغش بصورة عامة، وعن التصرية بشكل خاص؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تَصُروا الإبل والغنم".

ويلحق بهذا كل عمل من شأنه خداع الآخرين بالشيء، وإغراؤهم به، مع كون الحقيقة على خلاف ذلك، كأن يستخدم أصباغاً أو ألواناً خادعةً تخفي حقيقة وضع السلعة، أو نكهات تخفي حقيقة الطعم الأصلي لها، أو أنواعاً من زيوت المحركات لإخفاء وضع محرك السيارة ساعة من الزمن حتى يتم بيعها، وهكذا.. وهذا كله تدليسٌ وغشٌ محرمٌ، ويخالف الأمانة الخُلقية.

وأما النجش فهو: أن يبدي الشخص رغبة في شراء سلعة، لا ليشتريها، بل لإغراء غيره بها، ولإيهام بكثرة الراغبين فيها.

وهو محرمٌ شرعاً، ومن أنواع الغش، لما فيه من خداع الآخرين، والتغرير بهم.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة في النهي عن هذا الفعل، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "ولا تناجشوا".

ويلحق به ما يشبهه من أنواع الغش والخداع مما يستثير الناس، ويغريهم بالشراء

ثالثا: الحجر على السفيه: والسفيه هو الذي لا يحسن التصرف في المال، ولا يقدر عواقب تصرفاته، فيقدم عليها بدافع الطيش والهوى، وبعيداً عن العقلانية والرشد الذي هو إصلاح المال وتنميته والمحافظة عليه.

إذاً فالسفيه عكس الرشيد، والسفه عكس الرشد. ومن صور السفه مثلاً:

أن يستهلك المرض أضعاف المطلوب من الشاش والمراهم في معالجة جرح مريض مثلاً. أو أن يستهلك العامل أضعاف ما يحتاج من الوقود للسيارة، أو الأسلاك لتمديدات كهربائية. ونحو ذلك.

وقد طالب الشرع بالحجر على السفيه ومنعه من التصرف بأمواله، حفاظاً عليها من الضياع والتبديد، فقال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} (النساء 5).

ولا شك أن النهي عن هذه التصرفات (الغلول والرشوة والتصرية والنجش والإسراف) من شأنها أن تؤسس لخلق الأمانة المهنية.

المحاضرة الثالثة عشرة

المحبة المهنية

تعريف المحبة المهنية:

المحبة تعني الميل والود والإيثار قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ] {التوبة:23} أي؛ إن اختاروا وآثروا وقدموا الكفر على الإيمان.

وللحب أنواع متعددة منها:

- حب عقيدة وإيمان: وهو حب الله، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب آل بيت رسول الله، وحب قراءة القرآن، وحب الإنفاق في سبيل الله،

وحب الجهاد ...وهكذا. ومن ذلك ما في الحديث: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

أصول المحبة المهنية:

إن المحبة المهنية تعني الميل تجاه المهنة لتحقيق أصول المحبة الثلاثة:

1- التوادد بمراعاة آداب اللياقة في علاقات المهنة.

2- التراحم بالإحسان إلى زملاء المهنة والمنتفعين منها.

3- التعاطف من خلال الإيثار لمصلحة المهنة.

هذه الأصول الثلاثة جمعها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

هذه الأصول الثلاثة هي جسور المحبة التي تجعل من الجماعة كأنها شخص واحد، وكذلك تجعل من الشخص الواحد ومهنته وكأنهما شيءٌ واحدٌ.

فإذا تحقق هذا الاتحاد أمكن القول بأن خلق المحبة المهنية متحقق بالفعل.

شروط المحبة المهنية:

يتحقق خلق المحبة المهنية إذا توافرت الشروط التالية:

1- تقديم مصلحة المهنة على سائر مصالحه الحياتية الأخرى: بمعنى أن تكون مهنته هي الشغل الأهم له من بين أعماله اليومية الأخرى، فتفكيره في معظمه منصب على كيفية تطويرها بحيث تكون أنفع، وجهده منصب في أكثره على خدمتها بحيث تحقق نجاحاً أكبر، فهي مصدر رزقه، ومستقبلها مستقبله هو، وسمعتها الطيبة رأس مال له، واستمرارها ونجاحها نجاح له.. وهكذا. وبهذا يكون قد أثبت إخلاصه لمهنته، وتفانيه في حبها، وبذلك يصل إلى إتقانها على النحو الذي يحبه الله ورسوله. فالمدرس الذي يحب مهنته هو الذي يجعل مهنة التدريس شغله الأهم في شؤون حياته اليومية، ويسعى دائماً لتطويرها، ويسخر وقته وجهده وعلمه وعلاقاته بالآخرين في سبيل تطويرها والتقدم بها وإنجاحها، وهكذا الطبيب والمهندس والمحاسب والمحامي... وبقدر محبته لمهنته، يكون تضحيته في سبيل الرقي بها.

التوجيه الفقهي لخلق المحبة المهنية:

ما ذكرناه سابقاً في التوجيه الفقهي لخلق الطهارة المهنية وما بعدها يقال هنا أيضاً، ومن ثمَّ فلا داعي لتكراره، أي أن الحد الأدنى من المحبة المهنية ضرورية، وقد تم التنصيص عليه من خلال القوانين والعقود، وبحثنا هنا يتناول ما وراء ذلك.

كما أن هذه المحبة المهنية تختلف من مهنة إلى أخرى، فما يطلب من المدرس يختلف في بعض جوانبه عن ما يطلب من الطبيب أو القاضي أو المحاسب.

وكذلك لا شأن لنا بما وراء المهنة كالبيت والشارع.

ثم ننبه هنا إلى أن الأصل في الإنسان أن يختار مهنةً يحبها، وتنسجم مع ميوله وتوجهاته، ويجد فيها راحته النفسية، إلا أن كثيرًا من الناس اليوم لم تعد محبته وميوله للمهنة هي التي توجهه، بل الدخل الأكثر، والسمعة، والمكانة الاجتماعية بين الناس! وهو ما انعكس سلباً على خُلُق المحبة المهنية، فأصبحنا نجد أناساً يمارسون مهنهم بغير رغبة منهم، ولا شعور بولاء تجاهها، بل ربما مارسوها وهم لها كارهون.

الأدلة في الحث على المحبة المهنية:

يدل لخلق المحبة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية، نذكر منها:

1- قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الحشر:9}.

فقد امتدح الله الأنصار لاتصافهم بخلق المحبة والإيثار، فعلى الرغم من أن الله قدم ذكر المهاجرين على ذكرهم، وأعطى المهاجرين من الفضل والشرف أكثر مما أعطاهم، فإنهم لم يتأثروا بذلك، ولم تتملكن دوافع الغيرة والأنانية من التأثير على نفوسهم الطيبة الزكية، فسجل الله لهم تلك الصفة الخلقية الراقية.

2 - وقال تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} {النحل:128} فالآية تثني على المحسنين، والإحسان من خلق المحبة المهنية.

مظاهر المحبة المهنية:

ذكر الفقهاء كثيراً من الأحكام الفقهية ذات العلاقة بخصال المحبة الخلقية، نشير هنا إلى بعض منها:

1- استئذان المرؤوس من الرئيس في المهنة:

اتفق الفقهاء على أن الاستئذان من الرئيس في المهنة مطلوب، ولا شك أنه من خلق اللياقة المهنية، ومن شأنه أن يحقق وينمي المحبة بين الرئيس ومرؤوسيه، كما أن

عدم الاستئذان وتجاهل المسؤول فيه ما فيه من الكبر، ويؤدي إلى التنافر والتباغض بين الأطراف، ومن ثمَّ وجدنا الإسلام يعلم المسلمين هذا الخلق الرفيع في أكثر من موضع، من ذلك قول الله تعالى في الحث على الاستئذان بصفة عامة: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] {النور:27} ، وفي الحث على الاستئذان من الرئيس خاصة يقول الله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] {النور:62} .

ودلالة الآية على أدب الاستئذان واضحة جلية، لا تحتاج توضيحاً أكثر.

2- إفشاء السلام ورده:

أجمع الفقهاء على أن إلقاء السلام مندوب إليه شرعاً، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم".

وأما الرد فواجب؛ لعموم قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} {النساء :86}

فقد أمرت الآية بالرد وجوباً، وعلقت ذلك على حال إلقاء السلام، وأما الإلقاء فلم تأمر به الآية، ومن ثمَّ كان الفرق بين الحالتين، حالة الإلقاء، وحالة الرد، فالأول مندوبٌ، والثاني واجبٌ.

ولا يخفى أن السلام عموماً من عوامل زرع المحبة بين الناس، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق، ومن ثمَّ كان مطلوباً شرعاً.

3- الإحسان إلى زميل المهنة:

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} {النساء :36}

وجه الدلالة أن الله سبحانه أمر المؤمن بالإحسان إلى الجار ذي القربى، وهو من كان بينهما قرابة النسب، وقيل: الزوجية. كما أمر بالإحسان إلى الجار الجنب، وهو الجار الغريب ليس من القوم أو القبيلة، وقد نزل بينهم، وكذلك أمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب، وهو رفيق السفر أو الضيف، وزميل المهنة لا يقل منزلة عن هؤلاء فيجب الإحسان إليه، والرفق به في المعاملة.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين: "جملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام،

ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين".

وقد وردت نصوص كثيرة من الشرع في بيان حق الجار نكتفي بذكر هذين الحديثين:

قوله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن". قالوا: من يا رسول الله؟ قال: "من لا يؤمن جاره بوائقه".

فهذان الحديثان يبينان بجلاء حق الجوار في الإسلام، ويلحق بهما زميل المهنة، لأنه جار في العمل، فينبغي

أن يعامل بنفس القدر من الاحترام والرحمة والإحسان
التي هي من خصال المحبة المهنية.

المحاضرة الرابعة عشرة

نموذج من مواثيق الشرف (أو المهنة)

مقدمة عامة

قدَّمْنا فيما سبق نُبذة عن أمهات أخلاق المهنة من الطهارة والأمانة والاستقامة والتعاون والمحبة، وذكرنا أن القدر الضروري من هذه الأخلاق منصوص عليه في الأنظمة والعقود، ومن ثمَّ فهي واجبات، يُلزمُ بها المرءُ بقوة القانون، خلافاً لأخلاق المهنة التي هي سلوكٌ راقٍ متعارف عليه بين أهل المهنة، وينعكس إيجاباً على أدائهم لمهنتهم.

وقد درج العاملون في كثير من المهن في عالم اليوم على وضع مواثيق لمهنتهم، أسموها ميثاق الشرف، وهذه المواثيق في معظم بنودها محل اتفاق بين العقلاء، وقد تختلف في بعض الجزئيات من بلد إلى بلد حسب القيم التي يمجدها أهل كل بلد. كما أنها تختلف في بعض بنودها من مهنة إلى أخرى، مراعاة لطبيعة المهنة، وما يناسبها، فما يطالب به الطبيب يختلف عن ما يطالب به القاضي أو المدرس في بعض الجوانب، وإن كانت قليلة. كما أن هذه المواثيق تقتصر على ما يخص المهنة من حيث المكان والزمان والأشخاص، ولا شأن لها بما وراء ذلك.

وفيما يلي نقدم ميثاق الشرف لمهنة التعليم في المملكة أنموذجاً، لنقف من خلاله على الجوانب التي أشرنا إليها آنفاً:

ميثاق أخلاقيات مهنة التعليم

مقدمة

المادة الأولى : يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها.

المادة الثانية : أهداف الميثاق.

المادة الثالثة : رسالة التعليم.

المادة الرابعة : المعلم وأداؤه المهني.

المادة الخامسة : المعلم وطلابه.

المادة السادسة : المعلم والمجتمع.

المادة السابعة : المعلم والمجتمع المدرسي.

المادة الثامنة : المعلم والأسرة.

مقدمة:

تعد مهنة التعليم رسالة رفيعة الشأن، عالية المنزلة، تحظى باهتمام الجميع؛ لما لها من تأثير عظيم في حاضر الأمة ومستقبلها.

ويتجلى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها السلوكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء.

وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها، ونحن بفضل الله نستمد أخلاقيات هذه المهنة من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا}. فهو خير قدوة يقتدي بها الأفراد، وخصوصًا الطامحون لبلوغ الكمال الإنساني في السلوك.

المادة الأولى: المصطلحات الواردة في الميثاق:

يقصد بالمصطلحات الآتية المعاني الموضحة قرين كل منها:

أخلاقيات مهنة التعليم: السجايا الحميدة والسلوكيات الفاضلة التي يتعين أن يتحلى بها العاملون في حقل التعليم العام فكراً وسلوكاً أمام الله ثم أمام ولاة الأمر وأمام أنفسهم والآخرين، وترتب عليهم واجبات أخلاقية.

المعلم: المعلم والمعلمة والقائمون والقائمات على العملية التربوية من مشرفين ومشرفات ومديرين ومديرات ومرشدين ومرشدات ونحوهم.

الطالب: الطالب والطالبة في مدارس التعليم العام وما في مستواها.

المادة الثانية: أهداف الميثاق:

يهدف الميثاق إلى تعزيز انتماء المعلم لرسالته ومهنته، والارتقاء بها والإسهام في تطوير المجتمع الذي يعيش فيه وتقدمه، وتحبيبه لطلابه وشدهم إليه، والإفادة منه وذلك من خلال الآتي:

1- توعية المعلم بأهمية المهنة ودورها في بناء مستقبل وطنه.
2- الإسهام في تعزيز مكانة المعلم العلمية والاجتماعية.
3- حفز المعلم على أن يتمثل قيم مهنته وأخلاقها سلوكاً في حياته.

المادة الثالثة: رسالة التعليم:

- التعليم رسالة تستمد أخلاقياتها من هدي شريعتنا ومبادئ حضارتنا، وتوجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها إخلاصاً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً لنشر العلم وفضائله.
- المعلم صاحب رسالة يستشعر عظمتها ويؤمن بأهميتها، ويؤدي حقها بمهنية عالية.

•اعتزاز المعلم بمهنته وإدراكه المستمر لرسالته يدعوانه إلى الحرص على نقاء السيرة وطهارة السريرة ، حفاظاً على شرف مهنة التعليم.

المادة الرابعة: المعلم وأداؤه المهني:

•المعلم مثال للمسلم المعتز بدينه المتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله، الوسطي في تعاملاته وأحكامه.

•المعلم يدرك أن النمو المهني واجب أساس، والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتفعاً بكل جديد في مجال تخصصه، وفنون التدريس ومهاراته.

•يدرك المعلم أن الاستقامة والصدق، والأمانة، والحلم، والحزم، والانضباط، والتسامح، وحسن المظهر، وبشاشة الوجه، سمات رئيسة في تكوين شخصيته.

•المعلم يدرك أن الرقيب الحقيقي على سلوكه، بعد الله سبحانه وتعالى، هو ضمير يقظ وحسٌ ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية، لذلك يسعى المعلم بكل وسيلة متاحة إلى بث هذه الروح بين طلابه ومجتمعه، ويضرب المثل والقدوة في التمسك بها.

- يسهم المعلم في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى الطلاب، وغرس أهمية مبدأ الاعتدال والتسامح والتعايش بعيداً عن الغلو والتطرف.

المادة الخامسة: المعلم وطلابه:

- العلاقة بين المعلم وطلابه، والمعلمة وطالباتها، لُحْمتها الرغبة في نفعهم، وسَداها الشفقة عليهم والبر بهم، وأساسها المودة الحانية، وحارسها الحزم الضروري، وهدفها تحقيق خيريّ الدنيا والآخرة للجيل المأمول للنهضة والتقدم.
- المعلم قدوة لطلابه خاصة، وللمجتمع عامة، وهو حريص على أن يكون أثره في الناس حميداً باقياً، لذلك فهو يستمسك بالقيم الأخلاقية، والمثل العليا ويدعو إليها وينشرها بين طلابه والناس كافة، ويعمل على شيوعها واحترامها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
- يحسن المعلم الظن بطلابه ويعلمهم أن يكونوا كذلك في حياتهم العامة والخاصة ليلتمسوا العذر لغيرهم قبل التماس الخطأ، ويروا عيوب أنفسهم قبل رؤية عيوب الآخرين.
- المعلم أحرص الناس على نفع طلابه، يبذل جهده كله في تعليمهم، وتربيتهم، وتوجيههم، يدلهم على

طريق الخير ويرغبهم فيه ويبين لهم الشر ويذودهم عنه، في رعاية متكاملة لنموهم دينياً وعلمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً وصحياً.

المادة السادسة: المعلم والمجتمع:

- يعزز المعلم لدى الطلاب الإحساس بالانتماء لدينه ووطنه، كما ينمي لديهم أهمية التفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها.
- المعلم أمين على كيان الوطن ووحدته وتعاون أبنائه، يعمل جاهداً لتسود المحبة المثمرة والاحترام الصادق بين الوطنين جميعاً وبينهم وبين ولي الأمر منهم، تحقيقاً لأمن الوطن واستقراره، وتمكيناً لنمائه وازدهاره، وحرصاً على سمعته ومكانته بين المجتمعات الإنسانية الراقية.
- المعلم موضع تقدير المجتمع، واحترامه، وثقته، وهو لذلك حريص على أن يكون في مستوى هذه الثقة، وذلك التقدير والاحترام، ويحرص على أن لا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة المجتمع به واحترامه له.
- المعلم عضو مؤثر في مجتمعه، تعلق عليه الآمال في التقدم المعرفي والارتقاء العلمي والإبداع الفكري

والإسهام الحضاري ونشر هذه الشمائل الحميدة بين طلابه.

- المعلم صورة صادقة للمثقف المنتمي إلى دينه ووطنه، الأمر الذي يلزمه توسيع نطاق ثقافته، وتنويع مصادرها، ليكون قادراً على تكوين رأي ناضج مبني على العلم والمعرفة والخبرة الواسعة، يعين به طلابه على سعة الأفق ورؤية وجهات النظر المتباينة باعتبارها مكونات ثقافية تتكامل وتتعاون في بناء الحضارة الإنسانية.

المادة السابعة: المعلم والمجتمع المدرسي:

- الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق الواحد هو أساس العلاقة بين المعلم وزملائه، وبين المعلمين والإدارة التربوية.
- يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة والتعليمات وتنفيذها والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعالياتها المختلفة، أركان أساسية في تحقيق أهداف المؤسسة التعليمية.

المادة الثامنة: المعلم والأسرة:

- المعلم شريك الوالدين في التربية والتنشئة فهو حريص على توطيد أواصر الثقة بين البيت والمدرسة.
- المعلم يعي أن التشاور مع الأسرة بشأن كل أمر يهم مستقبل الطلاب أو يؤثر في مسيرتهم العلمية، وفي كل تغير يطرأ على سلوكهم، أمر بالغ النفع والأهمية.
- يؤدي العاملون في مهنة التعليم واجباتهم كافة ويصبغون سلوكهم كله بروح المبادئ التي تضمنتها هذه الأخلاقيات ويعملون على نشرها وترسيخها وتأصيلها والالتزام بها بين زملائهم وفي المجتمع بوجه عام.

وفي الختام

هذا عمل إجتهادي مني لمساعدة

أخواني وأخواتي للمذاكرة

وأنا لست سوا إنسانه

والإنسان غير معصوم عن الخطأ

فمن يجد خطأ هنا أتمنى أن يصححه لنا

وهذا هو نفس محتوى دكتور المادة

والان لا أطلب منكم

سوا الدعاء لي بالتوفيق

والدعاء لوالداي بالصحه وراحة البال

والدعاء لخالتي التي ربتني بالرحمة

اختكم/ زخات مطر